وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية/ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السيّاب

مشروع بحث مقدّم من الطالبتين

(زهراء حسن هاشم) و (لمياء أركان نعيم)

إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، لنيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها

إشراف

أ.د. شاكر التميمي

١٤٣٩هـ ٢٠١٨م

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

أمّا بعد:

فالريف والمدينة عاملان أوجدتهما الحضارة الإنسانية، وتعد هذهِ الثنائية من الظواهر البارزة في الشعر العربي المعاصر، وقد تجلّت في أعمال بدر شاكر السيّاب، هذا الشاعر القروي الذي عانى كثيراً من وطأة الحاضر في كنف المدينة، فإنّ تكوينته الروحية والخيالية كانت تكوينة ريفية بحتة، غير متأثرة بالأمور الداخليّة مثل الهجرة إلى بغداد والسفر إلى الخارج، جاءت قصائد السيّاب تعجّ بسخطه الدائم من المدينة وجوّها التعس، في مقابل حنينه الدائم لقريته جيكور، التي مثلت لديه رمز الطهارة والنقاء، وعليه كان اختيارنا لهذا البحث محاولةً للتعرف على تأثير هذهِ الثنائية في نفسية السياب ومدى انعكاسها في شعره، في التمهيد بيّنا جانباً من حياة الشاعر بدر شاكر السياب، ودرسنا المبحث الأوّل وعنوانه " الريف في شعر السيّاب" وتأثيره على السياب، وما مثّله من قيم فنية وجمالية مهمة في شعره، ليكون شعرهُ شعراً مؤثراً في المتلقي، أمّا المبحث الثاني وعنوانه" المدينة في شعر السياب" فقد درسنا فيها المرحلة التي انتقل فيها السياب من جيكور إلى بغداد، ومدى سخطه على المدينة ومحاولته الهرب منها والعودة إلى جيكور، ثُمّ ختم البحث بخاتمة بينت أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث وأخيراً نتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور " شاكر التميمي" المشرف على

بحثنا ونرجو أن يكون في بحثنا ما يمكن أن يكون إضافة في بيان تأثير الريف والمدينة في شعر الكبير بدر شاكر السيّاب الّذي كان وسيبقى فخراً لبلدهِ ولأمتهِ في عطاءه الشعري، والحمد لله أولاً وأخيراً.

التمهيد

نبذة عن حياة الشاعر

على امتداد شط العرب إلى الجنوب الشرقي من البصرة، وعلى مسافة تقطعها السيارة في خمس وأربعين دقيقة تقع " أبو الخصيب " التي تمثل مركز قضاء تابع للواء البصرة يضم عددا من القرى، من بينها قرية لا يتجاوز عدد سكانها ألفا ومائتي نسمة تقع على ما يسمى " نهر أبو فلوس " من شط العرب وتدعى " جيكور "، تسلك إليها في طريق ملتوية تمتد بالماشي مدى ثلاثة أرباع الساعة من أبي الخصيب[١]، هناك ولد الشاعر بدر شاكر السياب في محافظة البصرة جنوب العراق في ال٢٥ من شهر ديسمبر١٩٢٦، توفيت والدته وهو صغير السن ، وتزوج أبوه ويبدو أن الحادثتين أثرتا كثيراً في نفسه، كانت مأساة بدر تكمن في غربته.. غربته الأبدية عن أمه وأبيه، وعن جدته، تلقى السياب تعليمه في مدرسة باب سليمان بأبي الخصيب، ثم في مدرسة البصرة الثانوية، وأتم دراسته في دار المعلمين العليا، ليتخرج فيها من قسم اللغة الإنكليزية[٢].

كان السيّاب معجباً بالتراث العربي الكلاسيكي ومعجباً بالأدب الإنكليزي في آن واحد[٣]، عاش السياب مرحلة اشتد الصدام فيها بين القيم والواقع، بين الماضي والحاضر، وقد زاد من شعور بدر بالغربة هجرته من الريف إلى المدينة، فهنا بدأ الضياع الأكبر الذي ترك آثاره العميقة في مستقبله كله[٤].

أصبح السياب في أوائل الأربعينات عضواً في الحزب الشيوعي، فاضطهد وشرد، فأفادته هذهِ التجربة كثيراً، إذ حولت إحساسه الفردي بالفاجعة إلى إحساس بفاجعة

---

[١] بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٧٨، ص: ١٧.

[٢] نفسه: ١٧.

[٣] مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، نسيب نشاوي: ٥١٩.

[٤] ديوان بدر شاكر السياب، المجلد الأوّل: (ت–خ)

الجماعة، كان الموت فيما مضى موت أمه فقط، أّما الآن فقد أصبح الموت موت الآخرين[١]، شارك السياب في العديد من المظاهرات مما أدى إلى طرده من سلك التعليم وسجنه.

كانت المرحلة الأخيرة من حياة السياب فقيرة ومحزنة، فقد أصيب بالمرض وخيم عليه شبح الموت، فأخذ ينظر إلى كل شيء من خلاله فقد (كابد السياب قبل وفاته في نهاية عام ١٩٦٤وعلى مدى أربعة أعوام طويلة، تجربة من أقسى تجارب الشعر العربي المعاصر، احتشد عليه فيها ثالوث رهيب: المرض والغربة والحرمان، ويشهد ديوانه المعبد الغريق بداية هذهِ المرحلة المضنية من عمرهِ وفنه)[٢]، هذهِ المرحلة حرمته من كل شيء حتى القدرة على المشي ، فأصبح الشعر رفيقه الوحيد، توفي السياب في ال٢٤ من شهر ديسمبر ١٩٦٤في مستشفى الأميري في الكويت ونُقل جثمانه إلى البصرة ليدفن فيها[٣].

---

[١] نفسه: هـ هـ.

[٢] الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد: ٣٠٠

[٣] نفسه: ث ث.

المبحث الأول

الريف في شعر بدر شاكر السيّاب

إنّ الحديث عن الريف العراقي له ميزاته وخصائصه، تجعله مختلفاً عن المدينة في مظاهره ومجتمعه، ويُعدّ السيّاب واحداً من أكثر الشعراء الذين تغنوا بالريف وجماله.

والريف: (هو ذلك الوسط الاجتماعي الصغير قليل الكثافة، ويطلق عليه عادةً اسم القرية، والقرية هنا مجتمع البراءة والبساطة والصفاء)[١].

عاش السيّاب في بيئة مفعمة بالخضرة، إذ ولد وتربى في قرية جيكور، إحدى قرى أبي الخصيب في محافظة البصرة، فكان لجمال الطبيعة في قريته الوارفة الظلال والمفعمة بالأزاهير وغابات النخيل ورقرقة الجداول تأثيرها الكبير في شعر السياب. فها هو يُنشد[٢]:

هو الريف، هل تبصرين النخيل وهذي أغانيه هل تسمعين؟

وذاك الفتى شاعرٌ في صباه وتلك التي علمته الحنين

هي الفن من نبعه المستطاب هي الحب من مستقاه الحزين

رآها تُغني وراء القطيع كـ(بنلوب) تستمهل العاشقين

كان هذا الجو الخلّاب أحد حوافز طاقات السيّاب الشعرية، وقد تحدد هذا الريف في خاطر بدر بأنه الطبيعة الجميلة الطاهرة الخيرة المعطاءة ولهذا تحدث عن ربيعه وخريفه، وصيفه وشتائه، محاولا أن يرسم لكل فصل من الفصول لوحة خاصة، ولم

---

[١] ثنائية الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السياب، خيرة جريو، مجلة بابل للعلوم الانسانية، المجلد٢٢، العدد٢، لسنة ٢٠١٤، ص: ٣٤٣.

[٢] قصيدة أهواء، ديوان أزهار وأساطير، المجلد الأوّل، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٧١، ص: ١٤.

يكن همه في تلك اللوحات إلا إبراز قدرته على الرسم، فإذا استطاع ابتكار صورة جديدة أو وفق إلى تعليل حسن لصورة قديمة، أحس أنه مهمة الشاعر الكبرى، فهو يجهد الجهد كله ليقول شيئا لم يقله غيره[١].

أشاهدت ياغاب رقص الضباء على قطرة بين أهدابهـا

تُرى أتبكي بدمع السماء أساهــا وأحزان أترابها؟

ولكنها كل نور الحقول ودفء الشتاء بين أعشابها

وأفراح كلّ العصافير فيها وكل الفراشات في غابها[٢]

كانت الظروف التي عاشها بدر في الريف متحوّلة، وبهذا أسهمت في تكوين شخصيته، فإذا هو مخزن الذكريات التي يطوف بها في عالمه الداخلي، فتبرز في سلوكه، وتنحدر من حبّات قلبه وجنباته كلّها[٣].

حدثي.. حدّثيه عن ذلك الكوخ

.. وراء النخيل.. بين الروابي

حلم أيامه الطوال الكئيبات.. فلا تحرميه حلم الشباب

أوهميه بأنّه سوف يلقاكِ على النهر.. تحت ستر الضباب..

---

[١] بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، إحسان عباس: ٣٩.

[٢] أهواء، أزهار وأساطير، ديوان السيّاب: ١٥/١

[٣] الصراع بين الريف والمدينة في شعر السيّاب، عبد العزيز حمّادي: ١٠٣

وأضيئي الشموع في ذلك الكوخ..

وإنْ كان كلّه من سرابِ[١]

كان خيال السياب يستقي إيحائه من العناصر البدائية في الريف العراقي، من مناظرهِ، ومن أصواته، فالخيال السمعي والطريقة التي يحس بها الأصوات التي يصفها، كانت قوية عند السياب[٢].

الزورق النائي ، وأنات المجاديف... الطوال

تدنو على مهل... وتدنو في إنخفاض وارتفاع[٣]

تغنى السياب في كثير من القصائد بالريف وأظهر تعلّقه الشديد به، فكان لا يكاد يغادره إلى مكان في العالم حتى يعود إليه مسرعاً متلهفاً، فحنينه له واضح وطاغ على أشعاره.

يا نهر عادُ إليك من أبد اللحود ومن خواء الهالكين

راعيك في الزمن البعيد، يسرّح البصر الحزين

في ضفتيك ويسأل الأشجار عنك عن هواه[٤]

نظم السياب عدة قصائد رائعة حول قريته (جيكور).

نافورة من ظلالٍ، من أزاهير

---

[١] لا تزيديه لوعة، أزهار وأساطير، ديوان السيّاب: ١/ ٦٠.

[٢] الرمزية الإيحائية في شعر السيّاب، خيرية عجرش وقيس خزاعل: ١٣

[٣] ستار، أزهار وأساطير، ديوان السياب: ٧٨

[٤] يا نهر، المعبد الغريق، ديوان السياب:١/١٤٦.

ومن عصافير

جيكورُ، جيكور، يا حقلاً من النور

يا جدولاً من فراشات نطاردها

في الليل، في عالم الأحلام والقمر

ينشرن أجنحة أندى من المطر،

في أول الصيف[١]

استطاع بدر أن يُغرق أنهار الشعراء في(بويب): الجدول الصغير القريب من دار جده بجيكور ومياهه تتضب أكثر فصول السنة ولا يخيل لأحد أنه مصدر وحي شاعر يمحق أساطيل آخرين، تجري فيه ولا تلبث أن تغوص إلى القاع الذي لا يبعد عن الأرض ثلاثة أشبار[٢]

بويب....

بويب

أجراس برج ضاع في قرارة البجر

الماء في الجرار، والغروب في الشجر

وتتضج الجرار أجراساً من المطر.

بلورها يذوب في أنين

---

[١] أفياء جيكور، المعبد الغريق، ديوان السياب:١/١٨٦.

[٢] الشعر العراقي الحديث، جلال الخياط:١٥٢.

"بويب... يا بويب"

فيدلهمُّ وحي حنين

إليك يا بُويب

يا نهري الحزين كالمطر.

كما استطاع السيّاب أن يضيء جوانب من حياة الفلاحين التي ترعرع بينها، وظلّ مشدوداً إليها، فاستطاع أنْ يصوّر خيبتها في الحبّ وحرارة حنينها عندما تهجر الريف إلى المدينة، فتلاقي أنواع التمييز والفواصل الثقافيّة والاجتماعية التي تكون من خلالها معاملة غير صالحة، فأبناء الريف عند الإقطاعي أدوات إنتاج يعتصرها بكلّ وسيلة، وتأثير هذهِ الأمور بدا واضحاً على السيّاب فنراه يصوّر الحياة الريفية البائسة وكيف يستغل الإقطاعيّون كلّ طاقات الفلاحين لمصلحتهم[١].

ولو انّا وآباءنا الأولين

قد كدحنا طوال السنين

وأدّخرنا- على جوع أطفالنا الجائعين-

ما اكتسبناه في كدنا من نقود،

ما اشترينا لها خاتماً أو سوار!

خاتم ضمّ في ماسهِ الأزرق

من رفات الضحايا مئات اللحود

---

[١] يُنظر: الصراع بين الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السيّاب، عبد العزيز حمادي: ١٥٩

اشتراها بها الصيرفي الشقي[١]

إنّ السيّاب حين يتحدث عن جيكور يرثي الماضي كله ويرثي نفسه وهو يتشرف الموت، وفي قصائدهِ عن جيكور أختار العودة إلى الماضي والعيش فيه، بدلاً من الحاضر التعس، ولهذا كان شبح اليأس يخيمُ عليه[٢]

هل أن جيكور كانت قبل جيكور

في خاطر الله... في نبع من النور؟

جيكور مدي غشاء الظلّ والزهرِ،

سدي بهِ باب أفكاري لأنساها

وأثقلي من غصون النوم بالثمر[٣]

يعاني الأنسان في عصرنا الراهن من الآلام والمكابد المختلفة حيثما كان، وقليلاً ما نجد من يشعر بالراحة والهدوء وصفاء البال. وأثر هذهِ الآلام، يتراءى نوع من الشعور عند الأشخاص وهو العودة إلى ماضيهم وتذكر ذلك الماضي بصورة معظّمة مفخّمة، ولعل الشخص يتخلص بهذه العودة والحنين والشوق إلى الماضي من المشاكل وتتسلى همومه بقدر الإمكان[٤]، وهذا ما نلحظه كثيراً في شعر السياب عند حديثه عن جيكور

---

[١] عرس في القرية، أنشودة المطر، ديوان السياب: ١/٣٤٥-٣٤٦.

[٢] يُنظر: ثنائية الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السياب، خيرة جريو:٣٤٣.

[٣] أفياء جيكور، المعبد الغريق:١/١٨٨.

[٤] يُنظر: أشكال الحنين إلى الماضي في شعر بدر شاكر السياب، سيد رضا مير أحمدي وعلي نجفي، مجلة دراساتي اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد١١، ٢٠١٢: ١٥٢.

هي مرفأ السياب المريض، الفقير المحروم، هي الحلم التي عجز الزمان أن يمحوها من ذاكرته، لأنها اقترنت عنده بالبراءة، والصفاء، والطهر[١].

أفياء جيكور نبع سال في بالي

أبل منها صدى روحي ...

في ظلها أشتهي اللقيا، وأحلم بالأسفار والريح[٢]

وفي موضع آخر من القصيدة نراه يقول:

أفياء جيكور أهواها

كأنها انسرحت من قبرها البالي،

من قبر أُمي التي صارت أضالعها التعبى وعيناها

من أرض جيكور.. ترعاني وأرعاها[٣].

إزداد حنين السياب إلى جيكور وإلى ملاعب الصبا، ولعل هذا الإحساس زاد حين أزداد نفوره من المدينة وكرهه لها فحنينه المستمر إلى الماضي هو ردة فعل ولدها رعبه من الحاضر، فهو يرى في جيكور رمزاً للعطاء والمحبة ومواطن الإيحاء والإلهام[٤].

---

[١] يُنظر: الاغتراب في شعر العراق المعاصر(مرحلة الرواد)، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩: ٥٥.

[٢] أفياء جيكور، المعبد الغريق:١٩٠.

[٣] أفياء جيكور، المعبد الغريق، ديوان السياب: ١/ ١٩٠.

[٤] يُنظر: ثنائية المدينة والريف، خيره جريو،٣٤٤.

من شرفة في سعفات النخيل

جيكور، يا جيكور: خلٌّ وماء

ينساب من قلبي،

من جرحي الواري،

من كل أغواري[١].

ومع شعوره الحاد بزحف شبح الموت وهو يسعى نحوه، حين رأى الفناء قد أناخ بكلكله فوق جيكور، فقد كان هو والقرية يرتبطان كالتوأمين بمراحل الولادة والصبا والشباب والاكتهال، وحين رأى السياب نفسه في مرآة القرية التي أحبها ندّت عنه صرخة تقول:(جيكور شابت)؛ لقد كان يهدف حين عاد إليها أن يعيش كما عاش الطفل القديم ، في(ظلّ النخيل) الذي يمتد فيه (كأهداب طفل)، ولكن الحيرة تملكته إزاء هذه المسافة التي قطعتها جيكور في الزمن[٢].

وأذكر في شتاء القرية النضّاح فيه النور

من خلل السحاب كأنّه النغم

تسرّب من ثقوب المعزف _ ارتعشت له الظُلَم

وقد غنى _ صباحاً قبلُ... فم أعدٌّ؟ طفلاً كنت أبتسم[٣]

---

[١] العودة لجيكور، أنشودة المطر، ديوان السياب: ١/ ٤٢٦.

[٢] يُنظر: بدر شاكر السيّاب(دراسة في حياته وشعره)، إحسان عباس:٢٨٦.

[٣] شناشيل ابنة الجلبي، ديوان شناشيل ابنة الجلبي: ٥٩٧

فضلّ السياب العيش في كنف الريف بدلاً من المدينة امتلأت بمنظر القتل والحرق والصلب، فهو بذلك يُفضِّل زمن الماضي على زمن الحاضر، فجيكور عنده تعبير عن الزمن الهدوء والاطمئنان، وسترة لزمن الحاضر الكئيب، إنّ المتتبع لشعر السياب يُدرك كيف أصبحت (جيكور) جزءاً من نفسية الشاعر، وإنّه اتخذها رمزاً للعراق[١].

لكنّ في جيكور

للصيف ألواناً كما للشتاء،

وتغرب الشمس كأنّ السماء

حقلٌ يمصُّ الماء،

أزهاره السكرى غناء للطيور

ناحلة كالصدى

أنغامه البلور

كأن فيها مدى

يجرحن قلبي فيستزفنّ منه النور

وتغرب الشمس وهذا المساء

أمطر في جيكور...

أمط طلا، نثّ صمتاَ– مساء

---

[١] يُنظر: ثنائية الريف والمدينة، خيرة جريو: ٣٤٥.

غافٍ على جيكور[١]

وظلت جيكور همهُ الوحيد يحاول أنّ يختلقها في أشياء احبها أو عانى منها ربما تُعاد صورتها في ذهنهِ أو يسكن إلى تلك الأشياء بدلاً منها في غيابهِ عنها[٢]

جئتها والضحى يزرع الشمس في كل حقل وسطح

مثل أعواد قمح.

فرّ قلبي إليها كطير إلى عشّه في الغروب.

هل تراه استعاد الذي مرّ من عمره، كل جرح

وابتسام؟

أبعد انطفاء اللهيب

يستطيع الرماد أتقاداً؟ ومن أين؟ من أي جمره؟

يا صباي الذي كان للكون عطراً وزهواً وتيها.

كان يومي كعامٍ، تُعدّ المسره

فيه نبضاً لقلبي تفجّر منها على كل زهره[٣].

أراد من جيكور أن تمد إليه أفياءها لكن جيكور كانت قد تقلّصت أفياؤها وتغضّنت وجناتها، وشابت وولى صباها[١]

---

[١] جيكور وأشجار المدينة، شناشيل ابنة الجلبي، السياب: ١/ ٦٣٣.

[٢] ثنائية الريف والمدينة، خيرة جريو: ٣٤٥.

[٣] جيكور شابت، العبد الغريق، السياب: ١/ ٢٠٥.

وهيهات ما للصبى من رجوع.

إنّ ماضيّ قبري واني قبر ماضيّ:

موتٌ يمد الحياة الحزينة؟

أم حياة تمد الردى بالدموع؟[٢]

وزاد من تأزم وضع السياب عندما رجع إلى جيكور ووجدها قد تغيرت وفقدت براءتها، فكانت عودته إليها عودة الأبن الضال لكن إلى بيت أصابه الخراب[٣]. وحيث وجد إنّ الفناء قد عصف رواء جيكور التفت بشده إلى ذكريات الماضي وأراد أنّ يبعثه حياً أو أنّ يعيد لبناته من جديد، فإنّ العودة إلى الماضي أصبحت ملجأه من الحاضر المعذّب بالأسقام[٤].

---

[١] بدر شاكر السيّاب(دراسة في حياته وشعره)، إحسان عبّاس: ٣٧٨.

[٢] جيكور شابت، العبد الغريق، السياب: ١/ ٢٠٨.

[٣] ثنائية الريف والمدينة، خيرة جريو: ٣٤٥

[٤] يُنظر: بدر شاكر السيّاب(دراسة في حياته وشعره)، إحسان عبّاس: ٢٨٨.

المبحث الثاني

المدينة في شعر بدر شاكر السيّاب

إنّ المدينة في تعريفها الشائع عبارة عن تجمع سكاني كبير عكس الريف، إذ تُعد مسكن الإنسان الطبيعي وهي المكان الأفضل المبني لسعادته[١]، برزت المدينة في شعرنا المعاصر بشكل كبير حتّى عدت فكرة معاصرة، وارتبطت بالقرن العشرين ومنجزاته ويُمكننا القول أنّ الشاعر المعاصر ما إن تلقّف فكرة المدينة حتّى اقترنت عنده بنوع من اليأس والكآبة وانعدام الأمن والإحساس بعدم التوازن النفسي[٢]، تعود العناية بموضوع المدينة إلى تأثر الشعراء العرب بالثقافة الغربية، بخاصة قصيدة الأرض اليباب لـ(إليوت)[٣]، ويرى الدكتور جاسم حسين سلطان إنّ من بين أهم الأسباب التي دعت إلى حضور المدينة في الشعر المعاصر ما هو ذاتي يتعلق بالشاعر نفسه، إذ كانت المدينة جزءاً من معاناته وخيباته في الحب والحياة؛ لذلك استهدف المدينة بكل ما يملك من لغة وبيان فقد عبّر الشاعر عن جدب الحياة وعذابات الإنسان وافتقاده لحريته في عالم تهدده الحروب وتتحكم فيه الآلة[٤].

كانت نقلة السيّاب إلى بغداد في مطلع العام الدراسي(١٩٤٣-١٩٤٤) وإلى دار المعلمين منها تحوّلاً إلى عالم جديد يكفل له مزيداً من الثقافة وقسطاً من الشهرة الأدبية، وانفتاح العينين على صخب الحياة ومختلطات أحداثها في أبان الحرب العالمية الثانيّة، ويوسّع الكوة التي يطل منها على العالم[٥].

ونحن في بغداد من طين

يعجنه الخزّاف تمثالا

---

[١] ثنائية المدينة والريف في شعر بدر شاكر السيّاب، خيرة جريو: ٣٤٠.

[٢] المدينة الحلم في شعر السياب، جاسم حسين سلطان الخالدي: ٧٢.

[٣] ثنائية المدينة والريف في شعر بدر شاكر السياب، خيرة جريو: ٣٤١.

[٤] يُنظر: المصدر نفسه: ٧٢.

[٥] بدر شاكر السيّاب(دراسة في حياته وشعره)، إحسان عبّاس: ٢٨٥.

دنيا كأحلام المجانين

ونحن ألوان على لجّها المرتج أشلاء وأوصالا[١]

ومن هنا نجد أنّ الشعراء على اختلافهم وإنْ دخلوا عوالم المدينة، حتى هالهم ما شاهدوه من ضياع وهوان، وهو ما عمّق الإحساس بالتغرّب عن المحيط والشعور بالخسران، وبقيت تلك الفكرة مسيطرة على جيل الستينات في العراق، ذلك أنّ المدينة ألّفت عندهم انكساراً نفسياً لم يستطيعوا مغادرته فكان هناك نوع من الوحشة الروحية بينهم وبينها وهو ما جسّده السياب في مجموعة كبيرة من قصائده[٢]، كما في (مدينة السراب) و(مدينة بلا مطر) و (سربروس في بابل) و (مدينة السندباد) ، وغيرها من القصائد، في قصيدته المبغى يقول:

الموت في الشوارع،

والعقم في المزارع،

وكل ما نحبه يموت[٣]

ويصف السيّاب في أبيات أُخرى من قصيدته (المبغى)، نفسه بالطين الذي يعجن ليكون تمثالاً يوضع في مكان ما، فهو يعيش في المدينة ويحلم بأشياء مثالية لاوجود لها على أرض الواقع، أحلام تشبه أحلام المجانين، العيش في المدينة[٤].

أهذهِ بغداد؟

---

[١] المبغى، أنشودة المطر، ديوان السياب: ١/٤٤٩.

[٢] المدينة الحلم في شعر السيّاب، جاسم حسين سلطان الخالدي: ٧٣.

[٣] مدينة السندباد، أنشودة المطر، ديوان السياب: ١/ ٤٦٧.

[٤] يُنظر: ثنائية المدينة والريف في شعر بدر شاكر السيّاب، خيرة جريو: ٣٤٢.

أم أنّ عاموره

عادت فكان المعاد

موتاً؟ ولكنني في رنّة الأصفاد

أحسستُ.. ماذا؟ صوت ناعوره

أم صيحة النُسغ الذي في الجذور؟[١]

كان بدر ما يزال بعد مجيئه من القرية، وحيداً تائهاً عن نفسه، لا يجد له منتمى، ولا يحاول الانتماء، فهو يطلب الوحدة لنفسه في مقهى ومعه عدد من الكتب أغلبها الدواوين الشعرية، فإذا سئم القراءة حوّمت بهِ الذكريات حول الريف وحياته الوادعة البريئة، وهاله أنْ يجد هوة قد أخذت تنفرج تحت قدميه بين هذهِ الحياة الجديدة وتلك الحياة التي عاش يتغنى بها[٢].

في ليالي الخريف الحزين،

حين يطغى عليّ الحنين

كالضباب الثقيل

في زوايا الطريق

في زوايا الطريق الطول؛

حين أخلو وهذا السكون العميق–

---

[١] المبغى، أنشودة المطر، ديوان السياب: ١/٤٤٩.

[٢] بدر شاكر السيّاب(دراسة في حياته وشعره)، إحسان عباس: ٣٣.

توقد الذكريات،

بابتساماتك الشاحبات،

كل أضواء ذاك الطريق البعيد[١]

لم يستطع السياب العيش في المدينة ولم يتمكن من التأقلم مع زمنه الحاضر الذي سبب له الأسى وزرع في قلبه الكراهية، ولذا فهو يود استرجاع ماضيه بغية الهروب من الحاضر المؤلم[٢]، يقول في قصيدته العودة لجيكور:

على جواد الحلم الأشهب

أسريت عبر التلال

أهرب منها، من ذراها الطوال

من سوقها المكتظ بالبائعين

من صبحها المتعب

من ليلها النابح والعابرين

من نورها الغيهب

من ريها المغسول بالخمر

من عارها المخبوء بالزهر

---

[١] في ليالي الخريف، المعبد الغريق، ديوان السياب: ١/ ٦٥.

[٢] ثنائية المدينة والريف في شعر بدر شاكر السيّاب، خيرة جريو: ٣٤٢.

من موتها الساري على النهر[١].

إنّ المدينة في نظر السيّاب مهما كانت واحدة لا تتغير، فهي مملوءة بالرذائل والاعتداءات، وكان يخشى أن يضيع في شوارعها وأزقتها الكبيرة، فلم يستطع أن يتلاءم مع بغداد وبيئتها الملوثة، إذ يرى ان المدينة تضغط على أنفاسه وتكاد أن تجهز عليه[٢].

وتلتف حولي دروب المدينة:

حبالاً من الطين يمضغن قلبي

ويعطين، عن جمرةٍ، فيه، طينه،

حبالاً من النار يجلدنّ عري الحقول الحزينة

ويُحرِقن جيكور في قاع روحي

ويزرعن فيها رماد الضغينة[٣].

أنّ حديث السيّاب عن دروب بغداد هو الذي جعل لفظة " دروب" تحدد معنى الضياع لدى معظم الشعراء الذين جاءوا من بعده[٤].

فالسياب كشاعر جرّب العيش في المدينة بكلّ ما فيها من مظاهر قبيحة بالنسبة لما كان يرنو إليه من تواجده فيها، فصوّرها بالشكل الذي خلّفته في مخيلته الشعرية،

---

[١] العودة لجيكور، انشودة المطر، السياب: ١/٤٢٠

[٢] يُنظر: ثنائية المدينة والريف في شعر بدر شاكر السياب: ٣٤١.

[٣] جيكور والمدينة، أنشودة المطر، ديوان السياب:١/ ٤١٤

[٤] يُنظر: الصراع بين الريف والمدين في شعر بدر شاكر السياب، عبد العزيز حمادي: ١٦٥.

فالمدينة لديه العدو الأكبر للقرية، فمن فيها يأكل من لحم ساكني الريف ويساوم على دمهم، حتى يعيش هو وأمثاله بالرفاه على حساب الكادحين[١]

أهذهِ مدينتي؟ جريحة القباب

فيها يهوذا أحمر الثياب

يُسلِّط الكلاب

على مهود أخوتي الصغار... والبيوت،

تأكل من لحومهم. وفي القرى تموت

عشتار عطشى، ليس في جبنها زهر،

وفي يديها سلّة ثمارها حجر

تُرجم كل زوجة بهِ. وللنخيل

في شطّها عويل[٢]

وتكاد قصيدته أم البروم أن تكون إعادة للمادة التي أوردها السياب في قصائد هاجم فيها المدينة، فهي مثال على عودة الشاعر إلى وسائله المألوفة واستغلاله لها[٣]

و أوقدت المدينة نارها في ظلة الموت

تقلع أعين الأموات ثمّ تدسُ في الحفر

---

[١] نفسه: ١٦٥

[٢] مدينة السندباد، أنشودة المطر، ديوان السياب: ٤٧٣/١.

[٣] بدر شاكر السيّاب(دراسة في حياته وشعره)، إحسان عباس: ٢٨٦.

بذور شقائق النعمان، تزرع حبّة الصمتِ

لتثمر بالرنين من النقود، وضجّة السفر،

وقهقهة البغايا والسكارى في ملاهيها[١].

إنّ مدي الصدمة والنفور من المدينة والاتجاه نحو نقاء الريف يظهر بصورة قويّة عند السيّاب، وربما كانت (جيكور) أكبر الرموز في ثنائيّة القرية/ المدينة بين الشعر العربي الحديث، وكانت أزمة السيّاب في المدينة سبباً في تخليد هذهِ القرية، و أمّا المدينة فهي الخصم الأبدي لجيكور[٢].

إنّ الصورة التي رسمها السيّاب للمدينة وشخوصها فوّت عليه فرصة في خلق أساطير خاصة بالمدينة على غرار الأساطير التي خلقها الشاعر في القرية، وهو الذي جعل

(جيكور/ القرية)، مدلولاً رمزياً للمدينة الحلم التي يبحث عنها الشاعر، أو أنّه قد أمدّ بصره إلى الماضي ليبحث عن المدينة الحلم[٣].

---

[١] أُم البروم، المعبد الغريق، ديوان السياب: ١/ ١٣١.

[٢] الصراع بين الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السيّاب، عبد العزيز حمّادي: ١٦٥.

[٣] يُنظر: المدينة الحلم في شعر السياب، جاسم حسين سلطان الخالدي: ٧٨.

الخاتمة:

١- أنّ الشاعر بدر شاكر السيّاب من أجمل الشعراء وأعظمهم ومن أكثرهم قدرة أسلوبية وفنّية.

٢- للسياب روحه الخاصة وأساليبه الخاصة التي تمثل معاناته تمثيلاً صادقاً يُعبر عن الآلام التي مرّ بها الشاعر والآمال التي عقدها في حياته.

٣- يعد السياب من أبرز الشعراء الريفين المعاصرين الذين اجتذبتهم الحياة المدنية.

٤- تغير المضمون الشعري عند السياب بحسب الظروف التي ألمّت به، فللريف الأثر الواضح في شعره، فهي البيئة التي مثلت الجانب المشرق من حياة السياب.

٥- لم تمح هجرته إلى بغداد تعلقه بجيكور، فقد لمحنا في شعره مراراً محاولة العودة إلى جيكور.

٦-ارتبطت المدينة لدى السياب بالمبغى الكبير أو درب للضياع والرذيلة.

المصادر والمراجع

١- أشكال الحنين إلى الماضي في شعر بدر شاكر السياب، سيد رضا مير أحمدي وعلي نجفي، مجلة دراساتي اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد١١، ٢٠١٢.

٢- الاغتراب في شعر العراق المعاصر(مرحلة الرواد)، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩.

٣- بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٧٨.

٤- ثنائية الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السياب، خيرة جريو، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد٢٢، العدد٢، لسنة ٢٠١٤.

٥- ديوان بدر شاكر السياب، المجلد الأوّل، دار العودة_ بيروت، ١٩٧١.

٦- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.

٧- الرمزية الإيحائية في شعر السيّاب، خيرية عجرش وقيس خزاعل، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السادس.

٨- الشعر العراقي الحديث، جلال الخياط، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

٩- الصراع بين الريف والمدينة في شعر بدر شاكر السياب، عبد العزيز حمادي، عضو هيئة التدريس في جامعة بيام نور، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٠- مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤.

١١- المدينة الحلم في شعر السيّاب، جاسم حسين سلطان الخالدي، مجلة سر من رأى، المجلد١١، العدد٤١، السنة الحادية عشر، حزيران- ٢٠١٥.